

**أثر بيئة الأعمال على فعالية إدارة المشاريع في
ولايات الجنوب الجزائري: تامنغست، عين صالح،
عين قزام – خلال الفترة 2014-2024**

الباحثة: خولة نقدة

سنة المناقشة: 2024

لجنة المناقشة: برئاسة الأستاذ رياض عبد القادر – جامعة الجزائر 3

الرابط: <https://dspace.univ->

[alger3.dz/jspui/handle/123456789/10039](https://dspace.univ-alger3.dz/jspui/handle/123456789/10039)



إعداد

سامر بنون

مقدمة

تندرج هذه الأطروحة ضمن حقل معرفي بالغ الأهمية في الوقت الراهن، وهو إدارة المشاريع الإنشائية في البلدان النامية، وتحديدًا في المناطق ذات الخصوصية الجغرافية والمناخية. فالجزائر، كغيرها من الدول التي شهدت طفرة في المشاريع العمومية خلال العقدین الأخيرین بفضل عائدات النفط والغاز، عانت من معدلات تأخير مرتفعة وتجاوزات كبيرة في تكاليف المشاريع الإنشائية، لا سيما في قطاعات الأشغال العمومية والسكن والري. وتتفاقم هذه المشكلة بشكل خاص في ولايات الجنوب الكبير – وهي مناطق شاسعة تتميز بظروف مناخية قاسية (درجات حرارة تتجاوز 50 درجة مئوية صيفاً)، وبُعد جغرافي كبير عن مراكز التوريد والتموين، ونقص حاد في الكوادر البشرية المؤهلة، فضلاً عن بنية تحتية لوجستية ضعيفة. في هذا السياق، جاءت أطروحة الباحثة خولة نقدة لتطرح سؤالاً جوهرياً: ما أثر عوامل البيئة الداخلية والخارجية على فعالية إدارة المشاريع الإنشائية لدى المقاولات النشطة في ولايات الجنوب الجزائري؟

أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة

خلصت الأطروحة إلى مجموعة من النتائج الجوهرية ذات الدلالة الإحصائية عند مستوى المعنوية (0.05):

النتيجة الأولى: وجود أثر ذي دلالة إحصائية لعوامل البيئة الداخلية على فعالية إدارة المشاريع الإنشائية. وهذا يعني أن العوامل الداخلية للمقولة – كمستوى تأهيل الموارد البشرية، وكفاءة الأنظمة التنظيمية، ومدى توفر المعدات والتجهيزات – تؤثر بشكل مباشر وجوهري في قدرة المقولة على إنجاز مشاريعها بفعالية.

النتيجة الثانية: وجود أثر ذي دلالة إحصائية لعوامل البيئة الخارجية على فعالية إدارة المشاريع الإنشائية. فالظروف المناخية القاسية في الجنوب الجزائري، وبُعد المسافة عن موردي مواد البناء، وتقلبات السياسات الاقتصادية والتشريعية، كلها عوامل تضغط على أداء المقاولات وتحدّ من فعالية إدارتها لمشاريعها.

النتيجة الثالثة – وهي الأكثر أهمية: وجود أثر غير مباشر لعوامل البيئة الداخلية والخارجية على فعالية إدارة المشاريع الإنشائية، بوجود إدارة المشاريع كمتغير وسيط. وهذا يعني أن المقاولات التي تتبنى ممارسات إدارة مشاريع متطورة (تخطيط محكم، تنظيم فعّال، رقابة

الفجوات البحثية التي أشارت إليها الباحثة

أغلب الدراسات السابقة في إدارة المشاريع الإنشائية – سواء في الجزائر أو في العالم العربي – ركّزت على المدن الكبرى والمناطق الحضرية. فالدراسات التي أُجريت في الجزائر تناولت مشاريع في ولايات الشمال أو الهضاب العليا، بينما ظلّت ولايات الجنوب الكبير – رغم حجم الإنفاق الحكومي الضخم على مشاريعها – خارج نطاق الاهتمام البحثي الأكاديمي. وتُعدّ هذه فجوة خطيرة لأن هذه المناطق تواجه تحديات فريدة لا تنطبق عليها نتائج الدراسات المُنجزة في بيئات مختلفة.

الفجوات البحثية التي أشارت إليها الباحثة

أشارت الباحثة إلى أن معظم الدراسات السابقة في إدارة المشاريع الإنشائية في الجزائر اعتمدت على أساليب وصفية أو ارتباطية بسيطة، دون استخدام نماذج بنائية متقدمة تسمح باختبار العلاقات المتعددة بين المتغيرات. كما أن دراسة الأثر المباشر وغير المباشر في نموذج واحد متكامل يجمع بين البيئة الداخلية والخارجية وإدارة المشاريع كوسيط – لم يُطبّق من قبل في السياق الجزائري.

الفجوات البحثية التي أشارت إليها الباحثة

لم تتناول الدراسات السابقة – حسب ما رصدته الباحثة – دور إدارة المشاريع بوصفها آلية وسيطة يمكن أن تُعدّل أو تخفف من تأثير العوامل البيئية السلبية. فأغلب الأبحاث تعاملت مع إدارة المشاريع إما كمتغير مستقل (سبب) أو كمتغير تابع (نتيجة)، بينما لم يُدرس دورها كجسر يربط بين البيئة المحيطة ونتائج المشاريع.

معظم دراسات إدارة المشاريع في العالم العربي ركّزت على القطاع الخاص أو قطاع تكنولوجيا المعلومات، بينما قطاع الأشغال العمومية والسكن الاجتماعي والري – الذي يستحوذ على نسبة كبيرة من الإنفاق الحكومي في الجزائر – لم يحظَ بدراسات كافية من منظور إدارة المشاريع الحديثة.

الفجوات البحثية التي أشارت إليها الباحثة

الفترة المدروسة (2014-2024) تمثل عقداً شهد تحولات اقتصادية كبرى في الجزائر، من أزمة انهيار أسعار النفط عام 2014، مروراً بجائحة كوفيد-19، وصولاً إلى الإصلاحات الاقتصادية الأخيرة. ولم تكن هناك دراسات سابقة تتتبع أثر هذه التحولات على فعالية إدارة المشاريع في المناطق الأكثر هشاشة اقتصادياً.

تحليل مدى إسهام الرسالة في تطوير الموضوع البحثي وسد الفجوات

تُعدّ هذه الأطروحة من الدراسات الرائدة – إن لم تكن الأولى – التي تتناول إدارة المشاريع الإنشائية في أقصى الجنوب الجزائري. فاختيار ولايات تامنغست وعين صالح وعين قزام – وهي من أكثر المناطق عزلة وقسوة مناخياً في الجزائر – يُقدّم بيانات ميدانية أصيلة لم تكن متاحة من قبل في الأدبيات الأكاديمية. وهذا يمنح الدراسة قيمة مضافة كبيرة لأنها تكشف عن واقع عملي فريد يتعلق بإدارة مشاريع في ظروف بيئية استثنائية، حيث ترتفع درجات الحرارة لمستويات قياسية وتتباعد المسافات بين مواقع المشاريع ومراكز التموين بمئات الكيلومترات.

تحليل مدى إسهام الرسالة في تطوير الموضوع البحثي وسد الفجوات

من أبرز إسهامات هذه الأطروحة استخدامها لنمذجة المعادلات البنائية بطريقة PLS-SEM عبر برنامج SMART PLS 4. هذا الأسلوب يتفوق على الأساليب التقليدية (كالانحدار المتعدد) في قدرته على اختبار علاقات متعددة ومتزامنة بين المتغيرات، واختبار الأثر المباشر وغير المباشر، والتعامل مع العينات ذات الحجم المتوسط. وبذلك رفعت الباحثة المستوى المنهجي للبحث في هذا المجال في السياق الجزائري، وقدمت نموذجاً يمكن أن يُحتذى به في دراسات مستقبلية.

تحليل مدى إسهام الرسالة في تطوير الموضوع البحثي وسد الفجوات

النتيجة الأكثر إثراءً في هذه الأطروحة هي إثبات أن إدارة المشاريع تلعب دوراً وسيطاً بين عوامل البيئة وفعالية المشاريع الإنشائية. هذا الاكتشاف يحمل دلالات نظرية وعملية بالغة الأهمية، إذ يعني أن المقاولات العاملة في بيئات صعبة ليست محكومة بالفشل طالما أنها تتبنى ممارسات إدارة مشاريع محكمة. بعبارة أخرى، إدارة المشاريع يمكن أن تكون "الدرع الواقي" الذي يخفف من حدة التأثيرات السلبية للبيئة المحيطة. وهذه النتيجة تسد فجوة نظرية مهمة كانت غائبة في الأدبيات العربية.

تحليل مدى إسهام الرسالة في تطوير الموضوع البحثي وسد الفجوات

نجحت الباحثة في تجسير الهوة بين الأطر النظرية العالمية في إدارة المشاريع – التي نشأت في بيئات غربية متقدمة – وبين الواقع المحلي للمقاولات الجزائرية في المناطق الجنوبية. فالنموذج الذي قدّمته يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات البيئة المحلية، مثل الظروف المناخية القاسية ونقص الكوادر المؤهلة وبُعد المسافة عن مراكز التوريد، وهي عوامل لا تظهر عادة في الأدبيات الغربية.

بفضل حجم العينة المعتبر (104 مقالة) وتنوّع القطاعات المدروسة (أشغال عمومية، سكن، ري)، تُقدّم الأطروحة قاعدة بيانات تجريبية يمكن أن تستفيد منها الجهات الحكومية المعنية (وزارة السكن، وزارة الأشغال العمومية، الولايات) في صياغة سياسات وبرامج لدعم المقاولات وتطوير قدراتها في إدارة

المشاريع بالمناطق الجنوبية

الفجوات التي لا تزال مفتوحة وتوصيات للبحث المستقبلي

رغم الإسهامات المهمة والتميزة لهذه الأطروحة، يمكن تحديد عدة فجوات لا تزال بحاجة إلى معالجة:

أولاً – غياب البعد النوعي: اعتمدت الدراسة حصرياً على المنهج الكمي (الاستبيان)، وكان من الممكن إثراء النتائج بمقابلات معمّقة مع مديري المشاريع وأصحاب المقاولات لفهم الأبعاد النوعية والتجارب الحية التي لا يمكن التقاطها بالأرقام وحدها. فالمنهج المختلط (كمّي ونوعي) كان سيُعطي صورة أشمل وأعمق.

ثانياً – عدم التعمق في دور التكنولوجيا والتحول الرقمي: لم تتناول الأطروحة بشكل صريح دور تكنولوجيا المعلومات وأدوات إدارة المشاريع الرقمية (مثل أنظمة BIM، وبرمجيات Primavera و MS Project) في تحسين فعالية إدارة المشاريع في هذه المناطق، وهو متغير بالغ الأهمية في ظل التحول الرقمي المتسارع.

الفجوات التي لا تزال مفتوحة وتوصيات للبحث المستقبلي

ثالثاً – عدم تتبع التغيرات الزمنية: رغم أن الفترة المدروسة امتدت عشر سنوات (2014-2024)، إلا أن التصميم البحثي لم يكن طويلاً، مما يعني أن الدراسة لم ترصد كيف تطور أثر العوامل البيئية عبر الزمن. فدراسة طويلة كانت ستكشف عن ديناميكية التغيير وأثر الأزمات المتتالية (انهيار أسعار النفط 2014، كوفيد-19 عام 2020) على فعالية إدارة المشاريع.

رابعاً – إمكانية التعميم محدودة: تقتصر النتائج على ثلاث ولايات في الجنوب الكبير، وقد لا تنطبق على ولايات الشمال أو الهضاب العليا ذات الظروف المختلفة، فضلاً عن الحاجة إلى دراسات مقارنة مع دول عربية أخرى تواجه تحديات مشابهة (ليبيا، موريتانيا، المملكة العربية السعودية).

خامساً – تجاهل بعض المتغيرات الحرجة: لم تتطرق الدراسة صراحة إلى متغيرات مثل الفساد الإداري وممارسات الرشوة في منح الصفقات العمومية، وأثر تقلبات أسعار مواد البناء المستوردة، ودور الحوكمة المؤسسية في المقاولات، وهي عوامل معروفة بتأثيرها الكبير على المشاريع الإنشائية في الجزائر..

التقييم الشامل

تُمثّل أطروحة الباحثة خولة نقدة إضافة نوعية ومتميزة للمكتبة الأكاديمية العربية في مجال إدارة المشاريع الإنشائية، وذلك لعدة اعتبارات جوهرية. فمن حيث الأصالة، تناولت الدراسة سياقاً جغرافياً نادراً ما يُبحث أكاديمياً وهو أقصى الجنوب الجزائري بظروفه القاسية والفريدة. ومن حيث المنهجية، استخدمت أساليب إحصائية متقدمة (PLS-SEM) ترفع من مصداقية النتائج وقوتها التفسيرية. ومن حيث الإسهام النظري، أثبتت الدور الوسيط لإدارة المشاريع بين العوامل البيئية وفعالية المشاريع، وهو اكتشاف يُغني الأدبيات ويفتح آفاقاً بحثية جديدة. ومن حيث الإسهام العملي، قدّمت توصيات قابلة للتطبيق من قبل المقاولات والجهات الحكومية لتحسين أداء المشاريع الإنشائية في المناطق الجنوبية.



مجموعة جامعة
الجميع الذكية
للتعليم القابضة

MIDOCEAN
UNIVERSITY



Thank You

